

كتابات ... مشروع يحفظ الإرث ويكمل المسيرة

وسام محمود عابد

وفي العبارة إشارة ... غزة تعيش على صفيح ساخن رغم انقطاع الكهرباء ونقص الوقود ... إنها حكاية غزة .. حكاية كتابات ... حكاية تعلم عبر مشروع .. غزة تعيش الحرب ... تنتظر الحرب .. تنام على ويلات .. آلاف التساؤلات في أذهان الصغار والكبار .. هل من مخرج؟! لكن كيف؟! ... وكيف يجب أن تكون برنامج عمل ... كيف نستطيع إيجاد تعلم بدون معلم؟! كيف نوجد مدرسة بلا جدران؟! كيف سنخرج من الخزان؟! المدارس مغلقة ... وصوت القصف يعلو ويعلو، فلا يُسمع معه صوت أجراس المدارس.

أصل الحكاية

بدأت الفكرة قبل حوالى عقدين من الزمان، عندما وقع في يدي كتاب الدكتور نبيل الحسيني (اتجاه غير تقليدي في تدريس التربية الفنية)، وهذا الاتجاه يعتمد على التفكير البصري كمدخل للتعبير في الفن، حيث ينطلق المُعبر في الفن من أشكال بسيطة، ويكوّن منها أشكالاً أُخرى حسب المخزون البصري لديه، وتتم من خلال هذا الاتجاه عدة عمليات عقلية كالتحليل والتركيب والإدراك والنظرة الكلية الشمولية للشكل البصري، وعندما استخدمت هذا الاتجاه حصلت على نتائج مبهرة، حيث استطعت نقل الطالب إلى آفاق أوسع، وصار العنصر الواحد يعطي أكثر من تصور، ما أثرى الأفكار والتوجهات



«ولا شي زابط في غزة تقول إنو الكنعين بنوها جمال حرام»

كتابة على جدار-غزة- تصوير طلاب المشروع

لم تكن حكاية عادية ... إنها حكاية تتحدى المؤلف ... حكاية ملأى باللآات ... فغزة بلد اللآات الكبرى ...

في مجال الإعلام المقروء فقد قدمت حائطية خرابيش (الأفكار الأولى وأهميتها وانعكاساتها) وحائطية سلوكيات (للتأكيد على ما هو إيجابي وبناء). أذكر أنني دخلت يوماً إلى أحد الفصول فوجدت معلم العلوم قد انتهى من تحضير الهيدروجين وجمعه في بالون، فقلت: دعه لي، وبدأت حواراً مع الطلاب حول التجربة وصفات الهيدروجين، وهو غاز خفيف، فقلت: ما رأيكم في إطلاق البالون في الهواء ولا ندري أين سينتهي به المطاف؟! ما رأيكم في أن نحمله رسالة تعبر عنا؟! وافق الطلاب، فأعدنا الرسالة ورسم أحد الطلاب خريطة فلسطين، وكتبنا عليها بالإنجليزية (هذه فلسطين) وأطلقناه في الهواء، فتابعه الأطفال حتى اختفى تماماً، واستمتع الأطفال بانتقالهم من دائرة التلقي إلى دائرة الفعل. على الصعيد الثقافي المجتمعي قدمت: صغاراً يرسمون الحصار (رسم على الأسفلت) وستون عاماً على الرصيف (الذكرى الستون للنكبة) ومن الرصيف طالعين (مسرح شارع) وبقون ولنا عودة (مسرح شعري). استحضرتُ الطفل في طلاب قسم العمارة بالجامعة الإسلامية، عندما قدمتُ لهم الملتينة ليلعبوا بها وينشئوا المجسمات والعلاقات والهيئات المعمارية بإعادة الأشكال إلى أصولها، لزيادة الإحساس بالكتلة عند التصميم المعماري. قدمت برنامجاً خاصاً للحرفيين لتوصيل أفكارهم بصورة مبسطة لزيائهم من خلال الرسم. قدمتُ عدة رؤى لتصميم الأثاث باستلهام التراث الفلسطيني والخط العربي، ضمن برنامج عمل مع «اليونسكو» لمدة أربعة شهور. وأخيراً أنا الذي استثمرتُ الوقت أثناء إغلاق جامعة النجاح في الانتفاضة الأولى عام 1987 حين استثمرتُ أخشاب الزيتون في أعمال فنية ورسائل بصرية، سوّقتها من خلال مؤسسات مهتمة بحقوق الإنسان وقيم المجتمع المدني، فحملت صرخة الشعب الفلسطيني إلى العالم في عدة مناسبات. كل هذا ورد في خاطري في طريق عودتي من مؤسسة القطان - برنامج البحث والتطوير التربوي، فكان القرارُ ببناء مشروع الخاص الذي يتساق مع إمكاناتي ورسالتني كمعلم ورجبتي في التغيير.

نفسني أعرف!! (بحث في رغبات الطلاب)

بدأت الخطوة الأولى أو الخطوة رقم صفر لبناء مشروع تعلم.. وبدأت رحلة البحث عن مشروع.. مشروع أساسه رغبة الطلاب.. دخلتُ الفصل.. كتبتُ على السبورة

والآراء، وأوجد مساحةً واسعة للتفكير في التفكير، فاللغة البصرية تتميز بأنها تحمل العديد من المعاني التي تتطلب استخدام العديد من الكلمات التي تنمي القدرة على التفكير وإدراك العلاقات المتضمنة فيه، فامتدّت المساحاتُ وتنوعت الآفاق، وبدت حصّة الفن أكثر ثراءً وواقعية، وظهرت شبكة من العلاقات بين جميع المواد الدراسية، وفي كل مرة كان المدخل هو الفن.

لماذا لا يكون لك مشروع؟! فكر في ذلك.. فأنت تستطيع

بهذه الكلمات انتهى الحوار مع عُلا بدوي.. لدينا عدة برامج في المؤسسة.. برنامج الدراما، مهرجان العلوم، تعلم عبر مشروع.. «لماذا لا يكون لك مشروع؟! فكر في ذلك.. فأنت تستطيع».

عدتُ من هناك وقد دارت في رأسي عدة تساؤلات، عدة أفكار.. استرجعتُ شريطاً طويلاً من الذكريات، واستحضرتُ كثيراً من الصور.. فأنا معلم الفن وأنا معلم العلوم.

أنا من وقف يوماً أمام طلاب فصله في المرحلة الابتدائية ليشرح لهم درساً في الرياضيات، بعد أن غادر المعلم الفصل لأمر طارئ.. أنا ابن السادس الابتدائي الذي حمل يوماً أوراقه إلى المدرسة بعد أن أكمل نظرية في الهندسة.. تجاوزتُ النص إلى ما هو أبعد.. شعرتُ يومها أنني عبقرى وأرى أبعد مما يراه الآخرون، وأنا الذي حاولتُ التغيير في أساليب تدريس الفنون من خلال تبني الاتجاه البصري الذي أوجد مساحات واسعة من الإبداع وحرية التعبير. بحثتُ في التعبير الفني لأطفال يعانون من العته المنغولي.. بحثتُ في علاقة التعبير الفني للطفل بالفراغ المتاح له.. قمتُ بإعداد مادة التشريح الفني لطلاب التربية الفنية بجامعة الأقصى عندما عملتُ محاضراً فيها قبل أن تحمل هذا الاسم.. قمتُ بالبحث في إمكانيات الخط وأنماط الفراغ عندما كنتُ طالباً في تمهيدي ماجستير بجامعة الأقصى.. قدمتُ العديد من البرامج الإعلامية التربوية من خلال المسرح المدرسي، حيث عالجتُ العديد من القضايا في فترة عرض لا تتجاوز السبع دقائق، منها برنامج دفتر وقلم (حملة تبرعات منكم وإليكم) وصورة بالألوان (الحياة في غزة) وألوان في كل مكان (العالم بعيون الفنان). أما

لماذا كتابات؟!

أثناء تجوالي في عقول طلابي من خلال أفكارهم، وجدت تنوعاً في الأفكار كما أسلفت، وهذه الأفكار يمكن أن ينبثق عنها عدة مشاريع وفي مجالات مختلفة، وقبل الخوض في هذه المشاريع يجب أن يكون هناك مشروع تأسيسي لها، ألا وهو الكتابة، فالكتابة من أهم المرتكزات للتعليم، فلا يوجد مشروع إلا ويحتاج للكتابة والتوثيق، ما من أحد منا إلا ويحتاج للكتابة لتوصيل أفكاره والتعبير عما يجول في خاطره. وأنا شخصياً مهتم جداً بالكتابة شكلاً ومضموناً، ولديّ مشكلة أواجهها دائماً مع الطلاب، وهي عدم رغبتهم في الكتابة، وهذا يرجع إلى تراكمات تربوية سلبية، فالكتابة بالنسبة للطلاب نوع من العقاب، وقد عشت ذلك شخصياً (اكتب الدرس خمس مرات.. وبالحركات، اكتب الدرس عشر مرات.. وهكذا) لم تكن أيدينا الصغيرة تحتل ذلك ولا أيديهم، من هنا بدت العلاقة فاترة مع الكتابة، وهذا يحتاج إلى وقفة جادة للعلاج والقضاء على هذا الارتباط بين الكتابة والعقاب، لعلني أستطيع بناء توجهات إيجابية نحو الكتابة، وللتأكيد

(نفسى أعرف).. نظر الطلاب بدهشة.. تساءلوا فيما بينهم.. بدأ الصوت يعلو والنقاش يحتد.. والتساؤلات تتوالى، أذكر من تلك التساؤلات «هل ستجيب على كل ما نريد معرفته؟!» بالطبع لا.. لأنني لا أعرف كل شيء، لكنني سأساعدكم لكي تعرفوا وأعرف معكم، فنحن سنتعلم معاً، لكن سنتعلم ما نحب وكما نحب. وضّحت لهم وطلبت من كل طالب أن يكتب على ورقة لأخذها منه في نهاية الحصة، حتى وصلت الرسالة إلى كل فصول المدرسة. جمعت الأوراق وجلست في غرفتي لأصنف الأفكار.. لقد وجدت أفكاراً لمشاريع تعلم مختلفة، وفي كل المجالات، في العلوم.. في الرياضيات.. في اللغات.. في الفلك.. في الهندسة.. في الفن.. في الزراعة.. إلخ.. شعرت بالسعادة وأنا أقلب تلك الأوراق التي حملت أفكارهم الصغيرة، عفواً الكبيرة، ورغبتهم الحقيقية في التعلم، بعد أن أثقلتهم التقليدية والمناهج المكتظة التي تُتسى غالباً بعد الامتحانات النهائية.. لم يجتمعوا على فكرة واحدة، بل تعددت الأفكار.. وفي كل الأحوال كانت الفكرة الأساسية التعلم.



أحد المشاركين في مشروع مسار "قطنة".



الذي نريد؟ ما هو المعلم الذي نريد؟ ما هو المشروع الذي نريد؟ كيف ستكون العلاقة؟ وكيف سيكون التفاعل وكيف ستكون الشراكة؟ وعلى أي قاعدة سيكون العمل؟ بحث في كل العبارات.. في ذاكرتي.. في الكتب وعلى الشبكة، وأعددت الوجبة الأولى، الوجبة التي تضعني وطلابي على بداية الطريق.

لصناعة الطالب الذي أريد.. الطالب الباحث المفكر، المستكشف المبدع المطور، جهزت أفكارني على ورق، وأعددت البطاقات وكتبت كلماتي ورسائلي في مكان صغير بقلم رصاص فاتح الدرجة، لبيحث عنها الطلاب ويتخيلوها ويعبروا عنها ويبحثوا فيما أثارته هذه الكلمة فيهم، ويعيدوا صياغة معناها وتركيبها برؤيتهم، ويبحثوا عن الخط الذي يجمع كل الكلمات المطروحة في اللقاء، لبناء الملامح العامة للطالب المبدع والفريق.. كتبت باللغة الإنجليزية كي يبدأ الطالب عمله معي باحثاً، فأنا ضد القوالب الجاهزة والقولية، ولتكون هناك مساحة من الحرية وإعمال العقل. دخلت إليهم، رحبت بهم، عبّرت لهم عن سعادتني بانضمامهم للمشروع، عبّرت لهم عن حبي لهم ولرغبتهم في التعلم.. كتبت لهم على السبورة:

NO MISTAKES ..THEY ARE EXPERIMENTS

فكانت قاعدتنا الأولى للعمل.. نظر الطلاب إلى العبارة.. نظروا إليّ وإلى بعضهم، أدركت التساؤلات في عيونهم.. صمت الجميع.

ماذا تعني هذه العبارة؟ ما دورها؟ بدأت التهجئة وحل لغز المعنى خطوة خطوة.... لا أخطاء.. لا أخطاء.. كيف تفهمونها؟ لا أخطاء، وإن شعرنا أننا أخطأنا فنحن نتعلم، فلن توقفنا أخطاء بل سنتعلم منها.. نكمل العبارة.. هي تجارب.. هيا نحدد العبارة مكتملة (لا أخطاء.. إنها تجارب) فحيأة الباحث هكذا، يخطئ ليعرف الصواب، ونحن لا نقف عند الأخطاء، بل نبحت ونجرب كي نصل، وكل خطأ يمثل تجربة لنا على طريق النجاح. وزعت البطاقات بعد أن وضعت كلمة على كل بطاقة، كلمة تحتاج إلى ملاحظة وتفسير وتحليل، وإلى بحث عن المعنى وإعادة صياغته بشكل فني جمالي حسب الانطباع عنه وحسب ما يتوارد حوله من أفكار، وكانت الكلمات:

على أهميتها وعلى المتعة عند ممارستها، فكانت الإشارة الأولى لاسم المشروع (كتابات)، طرحتُ الفكرة مع الطلاب وتم انخراط مجموعة منهم في المشروع، وتم بناء الخطة حسب حاجاتهم كطلاب ورغبتني كمعلم.

كتابات (الرؤية والرسالة والأهداف)

تحددت رؤية المشروع في خلق جيل من الطلاب يمتلكون الفعل والقدرة على تحقيقه، من خلال دمجهم في العملية التعليمية التعليمية، لينتقل فيها الطالب من دور المتلقي إلى دور الفاعل الذي يمارس دور المعلم والمتعلم من خلال إحداث الكتابة. وكانت الرسالة بناء نهج تعليمي رائد ومتميز في دمج الطلاب في العملية التعليمية التعليمية، من خلال تبني آليات وأساليب متطورة في التعليم والتعلم، وحددت الأهداف كما يلي:

- إنشاء مشروع قابل للنمو والاستثمار في تطوير ومعالجة الأداء الكتابي للطلاب.
- بناء أنماط تعليمية تعليمية غير تقليدية يكون الفن أساساً لها.
- بناء توجهات إيجابية نحو الكتابة كنشاط إنساني مهم للتوثيق ونقل المعرفة.
- تطوير ملكات البحث والتفكير والاستكشاف لدى الطلاب.
- تنمية خيال الطلاب ومدته بالمحفزات التي تساعد على التفكير والإبداع.

وبناء على كل ما سبق، تم تحديد المقترحات، وهي: الكتابة دور ومفهوم - الكتابة التصويرية (الكتابة المسماوية - الكتابة الهيروغليفية) - الأبجدية الفينيقية واختراع الأبجدية - النقاط والحركات - الخطوط العربية وتطورها - صناعة الورق والأقلام والأحبار - النقوش - المخطوطات - الكتابة والحياة العامة - الكتابة على الجدران - الكتابة والحاسوب - الكتابة بين الطالب والمعلم - برامج تطويرية. وتحت كل عنوان عدة أنشطة.

اللقاء الأول

بناء شكل، وانطلاق فكرة، وتأسيس مرحلة

ماذا سأفعل؟ غداً لقايتي الأولى.. لقاء النخبة.. لقاء وضع الأساس وبناء المشروع.. من أين أبدأ؟ إنه الخطوة الأولى لبناء الأهمية.. طالب ومعلم ومشروع، ما هو الطالب

QUESTION- READ - TRY - IMAGINE -THINK-LOOK -SING-LAUGH-PLAY -LOVE-EXPLORE-
MEDITATION-COLLABORATE-MISTAKE-CARRY A PEN-RECORD YOUR THOUGHTS-GO OUT
INTO NATURE-BREAK THE ROUTINE-DEVELOP-EAT& DRINK FRESH-LISTEN TO MUSIC-GET
AWAY FROM COMPUTER-TRUST YOUR ABILITIES-BE DIFFERENT-BE FREE-BE QUIET-BE
HONEST-GIVE-ENJOY-MAKE RELATIONSHIPS

للطلاب الذين لا يملكون حسابات، وبدأت رحلة البحث في الكتابة الهيروغليفيه بأشكالها المصوّرة ودلالات تلك الأشكال واستتباط شكل الحياة المصرية القديمة منها، وهكذا مع الكتابة المسمارية ورموزها الكتابية.

وثيقة حول الكتابة المسمارية تحمل دلالاتٍ شاركتها وإيانا علماً بدوي (مديرة مكتب غزة لبرنامج البحث والتطوير التربوي بمؤسسة عبد المحسن القطان).. قمنا بإدارة حوار حولها على طريق بناء الأهمية.. وقفنا عند قوة الكتابة لمن يتمكن منها، وكيف أنها ساعدت الكهّان وكتبة القصر على إحكام السيطرة والنفوذ، وظهرت مجموعة من التساؤلات والاستنتاجات وعمليات القياس والمقارنة والربط، وكانت الخلاصة أن حالنا أفضل ممن سبقونا بالنسبة للعلاقة مع الكتابة، فالكتابة للجميع، وعليه يجب أن نعمل على تطوير الأداء الكتابي بالتمرين وتنوع ممارساتنا الكتابية. لقد استنتج الطلاب أن الكتابة سابقاً كانت أصعب بكثير منها اليوم، ورغم ذلك كتب الإنسان وتحمل الكثير من المعاناة في تجهيز الألواح الكتابية من الطين، وفي رحلة البحث عن السطوح الكتابية والأقلام، كانت العديد من عمليات البحث والتجريب والاستكشاف، فكانت الكتابة على الحجر والجلد والعظام، وتنوعت الرؤى حول الأقلام والأحبار وأدوات الكتابة قديماً، فبالبحث والتجربة لبّى الإنسان القديم حاجته إلى الكتابة. عشنا الدور وبحثنا في السطوح بعد أن تمكّننا من الرموز، ومع تجربة محمود هارون الطالب في مشروع كتابات لنا وقفة.

يقول محمود: (عندما عدتُ إلى البيت، فكرت في أن أكتب بالطريقة المسمارية، وبدأت أفكر بسطح يشبه الطين قابل لتففيذ هذه الفكرة، ووقع نظري على قطعة صابون لكنها أكثر صلابةً من الطين، لكنني أستطيع إحداث خطوطٍ فيها، فهي طرية بقدر كافٍ لإحداث ما أفكر فيه من كتابات، فبدأت أحضر فيها خطوطاً لكنها لم تكن ظاهرة بالقدر الكافي، فاستعنتُ باللون الأزرق لإظهار ما كتبت، وها هي تجربتي). فكّروا في كل ما حولكم... لا

لقد اختفت المعاني وراء الكلمات.. استخرجها الطلاب وبدأوا يكتبون كلماتهم بالعربية، يعالجونها ويضيفون أحاسيسهم وانطباعاتهم حولها. كانت النتائج مبهرة.. فتحتُ بوابات عدة ومدخلٌ متنوعة.. وتناثرت الأفكار وتوالت الرؤى فكانت الفرص.. فرصٌ تعلم حقيقية بدأت من كلمات بسيطة.. وقفنا طويلاً أمام تلك الانطباعات والأشكال والخطوط والألوان وما تحمله من دلالات.. هذا هو أساس عملنا معاً.. كلمات يجب أن نعيشها.. نمارسها.. نبني منها مستقبلاً، ونحقق من خلالها غايات.. تعلمٌ حقيقي وأبعادٌ لا تنتهي.

جولة في التاريخ وممارسات من الماضي

حتى نتعلم يجب أن نبحث في الأصول.. ففي الماضي فكرةٌ وعبرة.. كيف لنا أن نرسم الحاضر ونخاطب المستقبل إن لم نقف على صخرة الماضي؟ وإذا كانت الفكرة الكتابة فلنبحث في البدايات. (إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، قال يا رب وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) حديثٌ شريف رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث دلالاتٌ بحثناها، وعليها بنيتُ أفكاراً، وبين الكتابة والقراءة كان التأسيس وكانت الرسالة. وفي الحضارات كانت لنا جولات.. نحن بحاجة للبحث في المفهوم والدور والدليل، فكان عصفاً ذهنياً قام فيه الطلاب وخرجوا بأفكار ودلالات حول الدور والمفهوم.

وكان من الملحّ ربط الشكل بالمضمون، عندما بدأت الأيدي الصغيرة تُمسك الأقلام وتتحرك في فضاء الأوراق، لتنتج شكل كلمة (كتابات) واستمرت رحلة معالجة الشكل معهم.

بدأ البحث حول الكتابة التاريخية مع المعلم حسن الأشقر، وهو معلم الحاسوب الذي قام بالتدخل مع الطلاب، من خلال تعليمهم كيفية البحث وأدواته من خلال الشبكة العنكبوتية، وكذلك قام بتأسيس صفحة للمجموعة على موقع التواصل الاجتماعي «Facebook» وعمل حسابات

حللنا وبنينا الأفكار حول الأشكال والرموز واتجاهات الخطوط والفراغات، من خلال فترات زمنية ممتدة بين 3000 ق.م - 500 ق.م.

المعنى	رموز كتابية حوالي 3000 ق.م	كتابة مسمارية حوالي 2000 ق.م	آشورية حوالي 700 ق.م	بابلية حوالي 500 ق.م
الشمس				
إله أو سماء				
جبل				
رجل				
ثور				
سمكة				

لقد كان حواراً رائعاً وقراءة مُمتعة. أقتبس منها:

- أمامنا رمزٌ للشمس بأربعة أشكال؛ الشكل الأول يشبه المربع، ربما لم يكونوا يعرفون الدائرة، هم لا يستطيعون النظر إلى الشمس، فشاعها قوي.
- أنا أعتقد أن شكل الشمس مرتبط بالعين، لأن الشمس تمثل الضوء، والعين تمثل الرؤية.
- ربما هناك 4 جبال، حدودها من الداخل شكلٌ معين، والشمس تظهر من خلال الفراغ المحصور بين الجبال الأربعة.
- لكن هناك زاويتين ربما تمثلان الشروق والغروب، فالشروق له شعاع، أما الغروب فلا، والزوائد في أعلى وأسفل المربع تمثل الشعاع.
- الشكل الثاني شكلٌ خماسي، يحمل حركةً من خلال الزوائد، حركة الشمس من اليمين إلى اليسار، شروق.. ظهر.. عصر.. مغرب.. ليل، في الليل يختفي الشعاع.
- الشمس بدأت تقترب من الشكل الدائري، فنهايات الخطوط تمثل محيط دائرة، إذاً تطور الرمز ليقترّب من حقيقة الشمس.
- في الشكل الثالث تبدو هناك علاقةً بين السماء والأرض، فالشعاع يمتدُّ من أعلى إلى أسفل.
- هذه المثلاث تمثل اتجاهاً وحركةً ونشاطاً، فالشمس تظهر في النهار.
- المثلث الأصغر أعلى كالتائر، والأسفل أكبر لأنه اقترب من الأرض، والطيورُ تتشط في النهار.
- لا أرى اختلافاً كثيراً بين رمز الشمس الآشوري والبابلي، إلا اقتراب الطائر من السماء واتحادهما معاً.. ربما هذا الاتحاد يعبر عن قوة النشاط في النهار.

حدودٌ للإبداع... أروني تجاربكم... ابحثوا عن أدواتكم، اجمعوها... اصنعوها... جربوها.

حوار الطين والقلم ... وفي كل مرة فكرة

بحثنا في الطين، جهّزنا الألواح الطينية، وصنعنا الأقلام بعد أن كتبنا بالطريقة المسمارية.. بدأت الأيدي الصغيرة تلعبُ بالطين... تشكّله كيف تشاء... تتخلص من الماء الزائد فيه بالضغط والفرد، ويلقه في القماش اتسعت المساحات وتبوعت الأشكال، وفي كل لمسة متعة استحضار الماضي لبناء المستقبل، تنوعت الخامات التي صنعت منها الأقلام... من الألواح الخشبية ومن جريد النخل حضرنا الأقلام، وبدأ كل طالب يضغط على لوحه الطيني بقلمه الخشبي لتظهر التأثيرات الكتابية المسمارية عليه، وفي كل لمسة وقفّة وفكرة... أحبوا الطين، أخذوه إلى بيوتهم بعد لفّه بالنايلون للحفاظ عليه رطباً.. نقشوا عليه أسماءهم وأشياء أحبوا، تفاعل معهم الأهل واستمتع الجميع بالكتابة على الطين، وعندما نفذ الطين بدأوا يبحثون في طين الأرض وفي بيئتهم المحيطة. يقول أمجد شاهين: ذهبْتُ إلى البحر، وجدتُ طيناً مليئاً بالحصى، تخلصتُ من الحصى بتخليه، ثم وضعته في إناء وصببت عليه الماء، وتركته إلى أن ترسب الطين وطفا الماء على السطح، وها هي الألواح جاهزةً للكتابة بعد أن تخلصت من الماء الزائد، واستمر الحوار بين الطين والقلم، وفي كل مرة فكرة، وفي كل فكرة فرصة تعلم.

جمعوا الزلط والحجارة والعظام وبقايا الحقايب الجلدية المهترئة، كتبوا عليها وسجلوا أفكارهم وبحثوا في خامات بيئية أخرى، كتبوا على الفلين والإسفنج والبلاستيك والكرتون والباطون والفخار والخشب، وكانت كتابتهم إضافةً، وأفكارهم حياة.

التحول نحو الكنعانية وزبقة كنعان

من خلال البحث في الأبجديات وقراءة رموزها وبناء التصورات حولها وبناء العلاقات بينها، وقفنا طويلاً أمام الأبجدية الكنعانية نتأمل رموزها، ونقرأ حروفها، لقد أصبحت لدينا خبرةً سابقة، فقد قرأنا تطورات الكتابة المسمارية من التصوير إلى الحروف الآشورية، عندما شاركنا علماً بدوي ورقّةً بهذا الخصوص.

قرأنا الشمس، السماء، الجبل، الرجل، الثور، السمكة،

- أما بالنسبة للجبل، فهناك ثلاث زوايا.. منطقتان مرتفعتان ومنطقة منخفضة، شكل قريب جداً من الجبل.
- زوايا أكبر ونفس الرمز، لأن الجبل أكثر تحديداً.
- في الشكل الثالث تم طمس الزوايا وإغلاقها والتقاؤها في نقطة مركزية، كذلك في الشكل الرابع، رغم استئالة الخطوط فيه.
- أما بالنسبة لمفهوم الرجل، فنرى في الشكل الأول بيتاً منفصلاً وبيوتاً متصلة، فالبيت المنفصل بيت ملك أو حاكم.. رجل مسؤول عن بيوت أخرى بجانبه، وهذا تمييز له.
- في الشكل الثاني بدت التفاصيل أكثر، والبناء أوسع، وأضيفت عناصر أخرى رمزاً لهيمنة الرجل.
- الشكل الثالث بدت فيه تفاصيل، لكنها مجردة أكثر، لا ندري مدى ارتباطها بالرجل، لكن فيها نشاط وعمل مكانة الرجل في إمكانياته.
- في الشكل الرابع الرجل يحمل من هم دونه، بمعنى أن الرجولة تكمن في حجم الخدمات التي تقدمها لمن حولك.

- في الرمز الثاني مكتوب إله أو سماء.
- لا، هذا كفر.. مكتوب إله أو سماء.
- نحن نقوم بدراسة، ونتعلم من خلالها، لدينا قناعاتنا، لكن نريد أن نفكر ونبحث ونتعلم، إذا كان هذا يزعجكم نأخذ مسمى السماء.
- هناك أربعة خطوط تتقاطع في نقطة، وتمتد في جميع الاتجاهات، والسماء ممتدة في جميع الاتجاهات، فعندما ننظر للأعلى نرى سماء في كل اتجاه ننظر إليه.
- ربما يكون المركز رمزاً للأهمية.. للقوة المسيطرة على جميع الاتجاهات، قوة الإله.
- لقد وضعت في الشكل الثاني أربع زوائد لتحدد نهاية الخطوط، لتقول: هذه السماء لها نهاية.
- في الشكل الثالث ظهر الفصل بين السماء والأرض.
- امتداد الخط الأفقي أكبر من الرأس، وبه عنصران، فهو أقوى.
- ربما السماء كالخيمة، والخط الأوسط يمثل عمود الخيمة.
- الشكل الرابع لا يختلف عن الثالث، حيث لا فرق في الزمن بين 500-700 بالقياس بين 3000-2000.



فنانون وأهال يشاركون في إعادة إحياء البلدة القديمة في قننة.



وأشكاله الثمانية والعلاقات الشكلية، لنؤكد حروفنا الكنعانية الأولى كما أوجدنا أجدادنا، ونكمل الحروف المفقودة بدراسة ما يقابلها في الأبجديات الأخرى، لنخرج بشكل مختلف نابع من رؤيتنا ككنعانيين جدد، وبدأ كل طالب يطرح رموزه وأفكاره، وبالحوار والإجماع نؤكد على الشكل الذي نريد، للحرف الذي نريد، وهكذا اكتملت الأبجدية الكنعانية.

لقد اهتم الطلاب بذلك وشعروا بمتعة البحث والاكتشاف التي لا تضاهيها متعة، وفي كل اكتشاف تعزيز وإيجابية وتقدير للذات وشعور بالاختلاف، أما الدافع الأكبر فكان الشعور بالانتماء للكنعانية، وفي ذلك هوية نعمل على تعزيزها رغم العديد من محاولات الطمس والإلغاء، ورغم إيماننا الراسخ بأننا ما دمنا على هذه الأرض لن نستطيع أي قوة اقتلاعنا، كما أن تفعيل أبجديتنا الكنعانية سيجيب على العديد من الأسئلة حول وجودنا وأحقيتنا في بلادنا التي نحن على أرضها أصلاً، ولن نغادرها تحت أي ظرف كان.

إذا أردنا تفعيل الأبجدية الكنعانية في حياتنا المعاصرة، فيجب أن يكون لدينا أرقام كنعانية، أيضاً، كيف سنكتب التواريخ؟! واستمر البحث في الأرقام. وجدنا الأرقام الكنعانية وحدات مترابطة بجانب بعضها (III- II-I) هكذا، فكانت الحاجة إلى أرقام بشكل مختلف إلى حد ما، وبالبحث في الأرقام العربية تبين أن أساس البحث هو الزوايا، فهل من الممكن أن نعمل بنفس الكيفية ونستخدم عنصراً آخر؟ فكانت الأضلاع، وبدأ كل طالب يضع تصورات، وبالمقارنة والتحليل اعتمدنا أرقاماً كنعانية جديدة من (0-9) وبدأنا نمارسها بشكل محدود على مستوى المدرسة والفرق، إلى جانب الأبجدية الكنعانية. لقد تمكن الطالب محمد أبو طالب من إعطاء صورة عن الحياة الكنعانية القديمة من خلال الرموز الأبجدية الكنعانية الأولى، وفي لقاء خاص وأثناء زيارة محمد الغفري لي في بيتي بعد أن فاتته أحد اللقاءات طرح سؤالاً: هل كان للكنعانيين عملات؟ ربما بإمكاننا البحث في ذلك.. وليكن السؤال فرصة تعلم أخرى.. يقول محمد الغفري معبراً عن وجهة نظره تجاه المشروع (أجمل المشاريع في حياتي وأكثرها إفادة لي، فهو يشغل معظم وقتي بالبحث والتفكير والإبداع والتطوير، فالبحث معك بالكتابة شعورٌ آخر، والتفكير مع النفس بتطوراتها شعورٌ جميل).

وهكذا بدأت الأفكار تتعمق والرؤى تتنوع، وبدأ الصغار أكثر وعياً وإدراكاً، لقد تمت إدارة الحوار من قبل الطالب محمد الغفري، بمشاركة الطالبين محمد أبو طالب وإياد الزيان، بتفاعل معظم المشاركين، وفي كل مرة أضع أمامهم التساؤلات لتعميق الأفكار. أما حكاية التحول فهي ليست ككل الحكايات، إنها حكاية الحضارة والتاريخ، حكاية الأرض والجذور، حكاية إبداع الإنسان الذي أوجد لغةً وحواراً، الذي أوجد أبجديةً كانت أساساً لكل الأبجديات شرقية وغربية، إنها الأبجدية الكنعانية الأولى التي أنارت للإنسان دروباً من التفكير والإبداع. وقفنا بكل فخر شامخين معترزين، فنحن أحفاد كنعان، ونقف على أرض كنعان.. يجب تعميق ذلك وتأكيد الاعتزاز بالانتماء إليه، وفي ذلك رسالة وثقافة ومقاومة، وبقي السؤال ملوحاً في الأفق، وفي كل مرة نراه ماثلاً أمامنا يقودنا نحو الهدف، هل نستطيع إحداث تغيير في المجتمع من خلال الكتابة؟ هذا السؤال الذي وصلنا إليه من خلال وضع مجموعة من الأسئلة بعد مناقشة وثيقة الكتابة المسماة، وبدأنا الاختيار معاً حسب أهمية السؤال ودوره كحافز للعمل. مبدئياً، تم الخروج بسؤالين مهمين هما: كيف سيؤثر هذا المشروع في الحياة اليومية؟ هل نستطيع إيجاد لغة تمثلنا؟ واتفقنا على الاستمرار في تطوير هذين السؤالين إلى أن وصلنا إلى فكرة السؤال الأول، وهي إحداث تغيير في المجتمع من خلال الكتابة، والثاني بناء توجهات إيجابية نحو الكتابة، وبما أن بناء التوجهات الإيجابية شكل من أشكال التغيير، فقد تم اعتماد سؤال المشروع بهذا النص (هل نستطيع إحداث تغيير في المجتمع من خلال الكتابة؟) وإذا كانت الإجابة نعم سيلحق بها كلمة (كيف؟) وفي فلحها دارت كل البرامج التي حملها المشروع. اجتهدنا وعملنا وبحثنا وقارنا بين الحروف والرموز الكتابية القديمة، وتعرفنا على الحضارات بالبحث في الكتابات، وخرجنا بأشكال متناسقة من الحروف الكنعانية، وأكملنا الحروف الثمانية المفقودة لنجعل من هذه الأبجدية أبجديةً صالحة للاستخدام ضمن حياتنا المعاصرة، إلى جانب لغتنا العربية الأم، لتدل على عمق تاريخنا وامتداد حضارتنا.

لقد تناولنا الكنعانية الأولى والفينيقية والأوغارية والسريانية والآرامية والنبطية والعربية القديمة والهيروغليزية وخط المسند، وعملنا الجداول لمقارنة الحروف، وبدأنا البحث والتحليل لكل حرف على حدة،

بيته بعد أن أخذ بعض البذور من زميله (أمجد شاهين) وما زال البرنامج مع الزنبق مستمراً من أجل إيجاد تغيير في المجتمع تجاهه، للحفاظ عليه كرمز للحضارة العربية الكنعانية.

رسائل يوم الأرض بين غزة ونعلين

في تقليد سنوي، وفي الذكرى الـ 42 ليوم الأرض، أبحرت رسائل من ميناء غزة، وفي نفس الوقت سافرت رسائل أخرى من جبال نعلين جواً ضمن فعالية رسائل يوم الأرض بين غزة ونعلين، حيث أكدت هذه الرسائل على مدى الترابط بين أبناء الشعب الواحد في شطري الوطن، وبقي الأمل في اللقاء رغم عدم وصول هذه الرسائل إلا في أذهان الصغار، لقد كتب الطلاب بالكنعانية لأول مرة في رسائلهم إلى جانب اللغة العربية. اجتمع الطلاب لاستحضار أطفال مدن فلسطين والشتات في مخيلتهم، وكتبوا رسائل تحمل أحلاماً باللقاء، ومعها حبات رمل من شاطئ غزة، وأوراق زيتون وأصداف، وضعوها كلها في زجاجات مغلقة في البحر، عليها تصل لأطفال فلسطين ولأحرار العالم.

لقد تم إنجاز العديد من المنتجات استعداداً لانطلاق الأبيدية الكنعانية، فتم إنتاج مراكب حسب عدد الحروف الكنعانية، وعمل أشعة لهذه المراكب، وتم إنجاز بطاقات خشبية تحمل الحروف الكنعانية وما يقابلها بالعربية لاستخدامها كألعاب تربية تعرف باللغة الكنعانية، بالإضافة لكتابات على الطين وخامات أخرى قديمة ومعاصرة.

البحث في الآثار وإحياء المدرسة الكالمية

في يناير/كانون الثاني 2018 كان لنا لقاءً مع مكان ومجموعة صور.. لقد نشرت علماً بدوي على صفحتها صوراً للمدرسة الكالمية - الكالمية. أثارت هذه الصور حفيظتنا لنعرف أكثر، فالمكان يبدو مهجوراً وغير مستغل، وهذا دفعنا للتفكير في المساهمة في إحياء المكان ليقوم بدوره في خدمة التربية والثقافة والفنون، ففكرنا في زيارته والتعرف إليه عن قرب للتفكير جدياً في العمل من أجله، أضف إلى ذلك أننا في فريق كتابات نهتم بالتفاصيل ونبحث في النقوش والكتابات القديمة، فربما نجد في المكان بعض النقوش التي تخدم برنامجنا البحثي، فخططنا لجولة بحث في عالم النقوش من خلال زيارة

بالكتابة تستطيع أن تعبر عن رأيك بتراثك وتاريخك المنسي في هذه الأيام، ويجب علينا نحن الباحثين المتسائلين أن نذكر المجتمع بهذا التاريخ وما فعله أجدادنا، فهو كالوراثة المادية على شكل معنوي، يجب علينا الحفاظ عليه وحمايته، ونستطيع فعل ذلك فقط بمساعدة: مشروع كتابات و أ. وسام). بدأنا البحث، فكانت المفاجأة، نعم كانت عملات، والعملية الرسمية للكنعانيين هي الشاقل، الشاقل الكنعاني، والمفاجأة الأكبر أنه منقوش عليه زهرة الزنبق، تلك الزهرة البيضاء الناصعة ذات الرائحة الزكية والجذور العميقة جداً.. واستمر البحث. الشاقل عملتنا لا عملتهم، والزنبقة زهرتنا لا زهرتهم، وأمام الواجب وقفنا جميعاً، وبخطى واثقة بدأنا منحى بحثياً موازياً مع زنبقة كنعان التي لم نجد لها أثراً على الشبكة العنكبوتية!! أثار هذا فضول الطلاب للبحث أكثر، ووقفوا أمام سيل من التساؤلات، لماذا؟ وكيف؟ ما الذي يحدث؟ من المسؤول؟ من الذي يتحكم في المعلومات على الشبكة؟ إلى هذا الحد؟ وكان القرار ليس أمامنا إلا البحث ميدانياً، فتحن في غزة، وغزة كلها شاطئ، وعلى الشاطئ يوجد الزنبق، وكانت فرصة تعلم حقيقية مع الزنبق وشكله ومناطق تواجده، وأجزاء زهرته، وموسمه، وسبل الحفاظ عليه من الانقراض، وارتباطه بسؤال المشروع في إحداث التغيير، وبناء التوجه الإيجابي نحو زهرة الزنبق رمز الحضارة الكنعانية من خلال أنشطة وكتابات ومنشورات وبحوث.

لقد أبدى الطالب أمجد شاهين اهتماماً غير عادي بزهرة الزنبق، فبحث عنها وتابعتها وجمع معلومات عنها ممن حوله، وجلبها إلى المدرسة، وتابع نموها وقام بزراعتها، وجمع بذورها وكتب عنها ورسمها من عدة زوايا، وحاول إنجاز نموذج لها بالورق ونحتها على نموذج للشيكال الكنعاني، وقام بتفعيلها بين الطلاب، ما دفع أحد الطلاب من خارج المشروع (براء العصار) إلى نحت نموذج مجسم لها كنصب تذكاري. لقد ساهم الكثير من الطلاب في أفكار حول زنبقة كنعان، وما زالوا يبحثون عن معلومات حولها وعن كيفية استنباتها للحفاظ عليها من الانقراض. لقد تواصل الطالب عبد الرحمن إسماعيل مع أحد المهتمين بالزنبق وزراعته وجمع معلومات هامة عن الزهرة وتواجدها، وتوصل إلى بعض المراجع في مجال الزراعة ذكرت فيها زهرة الزنبق. كما قام الطالب (باسم الغفير) بجمع الزهرة واستخدامها في صناعة بعض مستحضرات التجميل، وبدأ الطالب (طلال العصار) بزراعة الزنبق في

جهات، جيران المكان.. العائلة القاطنة في أعلى السطح.. طلاب ومعلمين سابقين. وعلى سبيل العمل المشترك تم توزيع الأدوار وعقد اللقاءات بين الفرق الثلاثة للحوار ووضع الخطط المستقبلية، وكان القرار للصغار زيارة سلطة الأراضي والبحث في الملكيات وأنواعها، وحدود عمل سلطة الأراضي مع الأماكن التاريخية، وربط المعلومات بملكية الكمالية.. زيارة (مركز إيوان) بالجامعة الإسلامية والبحث في إمكانات الترميم والأصول الفنية لها والمعلومات الموجودة لديهم حولها.. زيارة بلدية غزة والبحث في علاقتها بالكمالية والظروف المحيطة بها.. زيارة سلطة الآثار وبرامجها للحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي للشعب الفلسطيني وآليات عملهم في مثل حالة الكمالية، وتقديم رؤية مشتركة حول إحياء الكمالية من قبل الفرق الثلاثة، وفي كل حوار تظهر مفاجآت ومعلومات، وبالتالي فرص تعلم، فالقضية متشعبة.. وقف وسلسلة ورثة!! ضحالة معلومات تاريخية.. مستأجرون. فكان لابد من البحث في البُعد القانوني لبناء تصوّر واضح عن الملكية من أجل الشروع بالعمل على أسس سليمة، ضمن منطقتي تعامل السلطات مع مثل هذه الأماكن،

استكشافية لغزة القديمة، بما فيها المدرسة الكمالية التي تمثل معلماً من معالم غزة القديمة، وكان طموحنا الأكبر أن تُرْمَم وتحتضن جميع البرامج الخاصة بالتعلم عبر مشروع، بحيث يلتقي فيها الباحثون وطلابهم للحوار وتبادل الخبرات، لقد نظر الطلاب بجدية إلى المكان الذي يحملون به مفتوحاً أمامهم حتى بعد إنهاء تعليمهم للاستمرار في برنامجهم البحثي الثقافي المجتمعي. تم التواصل والتنسيق لزيارة المكان.. ربما نستطيع أن نعمل شيئاً.. قام فريق كتابات بزيارة المكان بصحبة المهندسة (نسمة السلاق) من مشروع كنعان في أبريل/ نيسان، وبدأت ملامح فرص تعلم أخرى وجمع معلومات، لقد تفاعل الجميع مع المكان، تخيلوه في الماضي، بحثوا تفاصيله، ومن خلال رؤيتهم للمدرسة بدأت التساؤلات تتوالى والأفكار تتشعب حول عمارة المكان وتاريخه والتقاليد المتبعة فيه كمدرسة للفقراء، وتم جمع الأفكار ميدانياً حوله، ومن خلال المراجع المتاحة والشبكة العنكبوتية.. اندمج فيه فريق (كتابات) مع فريق (غزة القديمة) وفريق (صائدو كنوز غزة) وتمت عدة اتصالات، وفي كل تواصل أفكار وفرص تعلم خاضها الطلاب مع عدة



متطوعون يشاركون في إعادة إحياء البلدة القديمة في قفلة من خلال التطريز.



وما زال العمل مستمراً والفرص متنوعة للتعلّم وإيجاد قيادات حقيقية واعية تدافع عن موروثها الثقافي وعن وجودها. لقد قام الطلاب بأخذ عينات من الجدران المتآكلة لفحص مكوناتها، والتعرف على إمكانات إنتاجها وبنفس القوة للمساهمة في عمليات الترميم. ومن خلال الجولة تبين أن هناك بعض النقوش والكتابات التي تحتاج للدراسة والبحث في مضامينها.

كتابات في دائرة المخطوطات

أثناء رحلة جمع المعلومات حول المدرسة الكمالية، توقعنا أن نجد معلومات مفصلة حولها في دائرة المخطوطات، فكّم المعلومات التي حصلنا عليها من خلال الشبكة العنكبوتية لا يتعدى المعلومات الإعلامية والزيارات الميدانية، معلوماتها غير موثقة، ونحن نريد المعلومة الأكيدة التي لا تدع مجالاً للشك، بالإضافة إلى ذلك يوجد في مخططنا برنامج للبحث في المخطوطات وكيفية إنجازها، فاتفقنا على زيارة دائرة المخطوطات لجمع المعلومات والتعرف على طبيعة هذه المخطوطات، فتم التنسيق للزيارة، وتمت كما هو مخطط لها، وقد رحب مدير دائرة المخطوطات الباحث والمحقق الأستاذ/عبد اللطيف أبو هاشم، حيث أبدى تفاعلاً وارتياحاً بقاء هؤلاء الفتية الواعدين بمستقبل زاهر لشعبهم وأمتهم، لما رآه من مدى اهتمامهم بالبحث والمعرفة ورغبتهم القوية في البحث والاستكشاف لتحقيق تعلم نوعي من خلال برنامج (تعلم عبر مشروع) الذي يراعه برنامج القطان للبحث والتطوير التربوي التابع لمؤسسة عبد المحسن القطان. وفي معرض رده على تساؤل أحد أعضاء الفريق عن وجود تقدم علمي في فلسطين، قال إن هناك علماء كباراً في فلسطين، وذكر عالم الرياضيات الفلسطيني ابن الهائم المقدسي الذي توجد كتبه في كل مكتبات أوروبا، ونحن للأسف لم نعرف عنه شيئاً، وأردف قائلاً: اكتشفنا عالماً من مدينة غزة اسمه ابن زقاعة الغزي الذي له نظريات في علم الفلك، وللأسف لم يتعرف عليه أحد.

قام أعضاء الفريق بجولة مع المخطوطات وكيفية إنتاجها، وتخيّلوا كم من الوقت والجهد الذي كان يستغرقه إنتاج الكتاب المخطوط، وكيف عانى أجدادنا ليحفظوا لنا هذا التراث وهذه الحضارة. من بين الكتب التي أثارت اهتمام أعضاء الفريق كتاب الفتاوى الخيرية الذي كتب بخط اليد منذ 300 عام، كما شاهدوا المصحف الذي يُسمى

بالمصحف الأسير الذي كتب بخط اليد من قِبَل المرحوم أحمد شعشاعة العَلَمي من أهالي فلسطين في العام 1271هـ والذي تمت سرقة من الجامع العُمري الكبير سنة 1917م من قِبَل البريطانيين، ومن ثم إعادته بعد عدة سنوات، وكان المصحف بحالة يُرثى لها، وقد قام الإخوة المصريون بترميمه وإعادة تجليده.

لقد شكلت زيارة دائرة المخطوطات إضافة مهمة للفريق الذي وجد من المعلومات ما يجمله الكثيرون حول التاريخ المُغيب لعُلماء أفاضل، لهم دورٌ في بناء العِلْم والمعرفة، وأحبوا التعرف على آليات تحقيق المخطوطات والبحث فيها، حيث وعدهم الأستاذ أبو هاشم بمساعدتهم في ذلك متى أرادوا رغم انشغاله، لكنهم يستحقون الاهتمام، فهم عُلماء المستقبل على حد تعبيره.

الباحث الصامت .. عبقرى كتابات

ينظرُ بعمق.. يُطيلُ الصمت.. يتناول الأشياء بهدوء منقطع النظر.. تجده في كل مكان.. يعطي أكثر.. يرى في المشروع كل كيانه.. تعددت ملامحه البحثية وزاد شغفه بها.. إنه (أمجد شاهين) وله من اسمه نصيب، فهو صاحب الخلق اللطيف المحبوب دائم البحث والتجريب.. يكتب أكثر مما يتكلم ليحفظ ما يدركه.. يصنع فرصته إن لم يجدها، أدرك الفكرة، تمسك بها، عمل من أجلها، فكان مثلاً يُحتذى.

يقول أمجد:

- عند معرفتي بالشاقل الكنعاني صنعتُ نسخةً منه بالطين، وحاولت معرفة الرمز الذي عليه، فتبين لي أنه (زهرة زنبقة كنعان) فسألت أقرب الناس لدي عنها، فبين لي الأستاذ (وسام عابد) شكلها برسم بسيط، وقال لي إنها تنبت بالقرب من شواطئ البحر، وأنها تشبه البصل إلى حد كبير، فذهبت في اليوم التالي للبحث عنها، فوجدتها، وكانت قد أزهرت زهوراً ناصعة البياض، شذاها طيب الرائحة، عند رؤيتك لها تحرك عواطفك لقطف زهرة منها وشمها. أخذت الزهور لأريها لأستاذي، فرأها وقال لي إن هذه هي زهرة كنعان القديمة التي عاشت منذ القدم على شواطئ غزة الطاهرة، ثم تابعت مراقبتها يوماً بعد يوم، فعرفت مراحل نموها (تكون

النار، والزيء المترسب في الوعاء هو زيت الورد.

- عند ذهابنا إلى المدرسة الكاملة وجدنا حائطاً يبدو أقل عمراً من باقي الحوائط، بجانبه مادة متساقطة تشبه الرمل، بعد عودتنا من الرحلة وضعت المادة تحت أشعة الشمس فأبقيتها ثلاثة أيام لتجف، لكنها لم تجف، وبقي معظمها رطباً، ووضعت الرمل في قنينة زجاجية ووضعت فوقه ماءً لأعلم كم تحتاج إلى أن تجف بشكل كامل، والمفاجأة أن الرمل قد ترسب في القعر ومادة بيضاء فوقه. قمت بعدد من التجارب حول أنواع عدد من الأتربة منها: (رمال المدرسة الكاملة/تربة زراعية/رمال مخلوطة من كلا النوعين) ووجدنا فخاراً يشبه الحصمة التي تُستخدم في البناء القديم، فوجدتها تُخرج فقاعات بانتظام، (تقريباً فقاعتين في الثانية) وظلت تقل إلى أن انعدمت، بعدها رَشَحْتُ المادة المترسبة لأعرف ما هي، فتبين لي أنها مادة جيرية تشبه الشيد، فاستعنت بالأستاذ (سمير أبو رحمة) لتفحص المادة باستخدام الأحماض، فوضعت المادة المترسبة، ووضعت فوقها حمض النيتريك فتفاعلت معه وأنتجت بعض الغاز، فتبين أن هذه المادة هي كربونات الكالسيوم أو ما يسمى بالشيد.

كتابات على الجدران

ظاهرة ودلالات.. «وما خفي كان أعظم».

ومنذ البدايات الأولى كانت الكتابة هي الهاجس والفكرة هي التغيير.

هل نستطيع إحداث تغيير في المجتمع من خلال الكتابة؟! وفي فلك السؤال كانت لنا جولات.. تنوعت المدارات وتشابكت المسارات.. والمحور دائماً هو الكتابة.. وعلى الجدران قصصٌ وحكايات.. ملامحٌ تحدُّ وإثباتٌ ذات.

لقد خططنا مسبقاً ومنذ البدايات الأولى للمشروع، للبحث في الكتابة على الجدران، فالجدران في غزة لها خصوصية.. هي مراكز الإعلام الجماهيري والتواصل، تهاني العيد.. الحج.. الأفرح.. الفعاليات الوطنية.. التوضيحات.. الإعلانات وجهات النظر.. الآراء.. صوت من لا صوت له.. بحثنا في الكتابات القديمة والنقوش وخاماتها وأدواتها، بحثنا في المخطوطات وأساليبها

بذرة سوداء تشبه الفحم بداخلها بُصيلة متناهية الصغر، منذ وقوعها في التربة تبدأ بالعمل فتكبر البصيلة لتصبح بصلة صغيرة، تبدأ بإخراج أوراق أسطوانية، وتستمر بالنمو حتى تصل إلى سن أربع أو خمس سنوات، حينها تبدأ بالعمل أكثر، فيتطور ورقها ليصبح أسطوانياً مُسطحاً، وبعد عملية التطور هذه تبدأ الأوراق بالذبول استعداداً لعملية التزهير، فيفترش حول الزنبقة بساطاً من الأوراق الجافة، ثم تنمو أعناقُ خضراء فوقها لزهر غير مكتمل النمو، ثم يكتمل نموه خلال يومين فتفتح الأزهار، ثم بعد موسم الإزهار يبدأ العمل لإنتاج البذور، فتظهر أعناقُ خضراء أضخم بقليل من الأعناق التي تنمو عليها الأزهار وأوسع بقليل، تكون مغلقة بداخلها بذورٌ تظل تنمو مدة أسبوع، ثم تبدأ بالجفاف والتفتُّح حتى تكتسب البذور القوة والقدرة على التحمُّل، ثم تبدأ مراحل النمو مرةً أخرى. وللعلم نبات الزنبق نبات بري وقوي جداً، وهو قادر على تحمُّل الحر والجفاف، إذ إنه يخزّن الماء على شكل موادَّ حارقة، كما أن جذره قد يمتد ليصل إلى طول مترين).

- عند ذهابي ذات يوم لرؤية الزنبق وتفقدته، وجدتُ صخرةً رملية بجانبها عودٌ معدني سميكة، قمت بتعديل حوافها، ونحتُ عليها شعارَ المشروع وقمتُ بتصويرها، وظلت ماثلةً طوال مدة الشتاء إلى أن جاء الصيف، فجفت معظم المياه من الصخور والرمال، وبدأت بعض الصخور بالتفكك، فسقطت صخرةً وحطمت صخرتي.

- عندما طرح الأستاذ (وسام عابد) فكرة عطر كتابات، طرح البعض صنع عطر تركيب عن طريق خلط عدة روائح من العطور المركبة، واقترحتُ أنا فكرة العطر الطبيعي، فبدأت بالبحث عن طرق صنع العطور الطبيعية، فتبين لي أنها تعتمد على زيت الورد، وعلمتُ أن زيت الورد يُستخلص بطريقة التبخير والتكاثف، فبدأت المحاولة بصنع عطر، فاستخدمتُ زهور الفتنة لصنعه، فنجحت وها هي الطريقة: تحضرون قِدرًا متوسط الحجم وتضعون فيه وعاءً مغوّطاً بالمقلوب، ثم تضعون حوله الزهور والقليل من الماء، ثم تضعون وعاءً بنفس الحجم عكس الوعاء الأول، ثم تضعون غطاءً القدر بالمقلوب فوق القدر، وتضعون فوقه ماءً بارداً أو ثلجاً وتضعونها على

وأشكالها، ونحن الآن أمام كتابات الجدران وأشكالها وأنماطها، وفي كل مرحلة كانت لنا وقفات وفرض تعلم بلا حدود.. جلسنا سوياً، وحول الجدار رسمنا خطوطاً وحُضنا حواراً.

- ماذا نعني بظاهرة الكتابات الجدارية؟ ما طبيعتها؟ وما هو تاريخها؟
- ما هي العوامل التي أدت إلى ظهورها وانتشارها؟
- ما هي أنواعها؟ وما دلالاتها؟
- ما هي الخصائص والسمات التي تميزها؟
- ما الدافع وراء اهتمامنا بها؟
- وما مدى العمق الدلالي الذي تحتويه بداخلها؟
- ما هي فرص التعلم المتاحة أمامنا من خلال دراسة تلك الكتابات الجدارية؟

ومع انتهاء المرحلة الأولى لجولاتنا الميدانية، تم التنسيق لورشتي عمل حول كتابات الجدران وكيفية تفعيلها في إطار فني تفاعلي، لإيصال فكرتها إلى الجمهور، حيث تعرّف الفريق على مسرح الصورة من خلال الورشتين اللتين أدارتهما علماً بدوي.. تفاعل الطلاب مع مسرح الصورة وبنوا أفكاراً متعددة حول كتابات جدارية أدركوا أبعادها ومثلوها بأجسادهم، كما تم الحوار حول أفكار أخرى لممارسة الكتابة الجدارية ضمن سياق تفاعلي، من خلال (مسرح الخزان) الذي سيجتمع كل إنجازات الفريق خلال الفترة السابقة، بالإضافة إلى كتابات على جدار الخزان من الداخل، يراها الجمهور من الخارج ويحاول قراءتها، وعندما يعجز يضطر للدخول إلى الخزان ليقرأ ما يحدث ويدرك حقيقة الصورة، بالإضافة إلى حوار مع الجدار (هل لك رأي آخر؟) حيث يتم عرض صورة لكتابة جملة على جدار تحمل رأياً أو عبارة ناقصة يكملها الجمهور كتابةً على أوراق أخرى، ويتم جمع الأوراق ولصقها حول الصورة الأصل، ويتم إدارة حوار حولها.

لقد قادت الجدران العمل المقاوم في الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) فكانت من أهم وسائل الاتصال الجماهيري، ومن أهم الوثائق التاريخية التي يُعتمد عليها للحصول على معلومات قيّمة عن تلك المرحلة وما أحاط بها من متغيرات.. ورغم انتشار وتنوع وسائل التواصل، إلا أن الظاهرة ما زالت موجودة وتتسع رقعتها في كل يوم، وفيها مجال خصب للبحث والاستكشاف.. لقد

بدأت الجولة بعد اللقاء عندما أخذ كل عضو بالبحث في الجدران القريبة منه، يقرأ ويراقب ويصوّر ويشارك ويدير حواراً مع زملائه حول كل منشور، وكلُّ يُدلي بدلوه تحليلاً وتفسيراً، فزاد الشغف إلى أن جاء موعد الجولة الأولى، فأعدنا الخرائط وقرأنا المناطق وحددنا المسارات، وكانت البداية الأولى في الشمال بمناطقه الثلاث: بيت حانون وبيت لاهيا وجباليا. في هذا الشارع كتابات كثيرة.. هيا نزل.. توقفت الحافلة وبدأ الطلاب ينزلون ويتسابقون لأخذ اللقطات.. يقرؤون.. يتوقفون.. يضحكون.. يفكرون.. يحللون.. ينادون على زملائهم.. يشاركونهم.. بدت السعادة تخيم على الجميع، فنظرات الحب تصاحب هؤلاء الصغار وهم يتقلون من جدار إلى جدار.. «في هذا الشارع كتابات كثيرة، هيا معي لأريكُم» يقول أحد المارة.. تحيات متبادلة بيننا وبين أصحاب المحلات.. يدخل أحد الطلاب من منزل أحد السكان لاختصار الوقت والولوج إلى شارع آخر بعد أن دعاه أصحاب المنزل الذي له بابان.. «صوّرنِي» كلمة ترددت كثيراً من أطفال في الأماكن.. وتواتت الحكايات.. «خذوني معكم فأنا أريد أن أنضم للمشروع» قالها أحد الباعة المتجولين ذو الخمسة عشر ربيعاً كما أخبرنا.. «أنا لا أملك كاميرا وليس لديّ جوال، لكن كنت أدلك على الكتابات فأنا أصور معك».. أحمد المصري أحد المنخرطين في المشروع.. لقد غادرنا الشمال وما زلنا نريد منه أكثر، فنحن لم ندخل إلى كل شارع، وهناك شوارع صغيرة تحتاج منا إلى وقت أكثر، ما الحل؟! يجب أن نتواصل مع أصدقاء أو أقارب ليساعدونا في أخذ اللقطات ويرسلوها لنا.. لقد أطلت علينا من وراء العبارات دلالات ومعانٍ كثيرة وأبعادٌ بحثية وفرض تعلم لا تنتهي، وها هي العبارات تتحدث عن نفسها:

من كتابات الجدران التي جمعها الطلاب

(مالي شغل بالسوق!! مريت أشوفك) (أهذه الحياة التي كنت أركل بطن أمي من أجلها!؟) (ممنوع الجلوس أمام الجدار) (ومالو؟) (ممنوع الجلوس أمام الجدار) (بسيطة!) - (لا تحرج نفسك المكان مراقب) (ممنوع الجلوس نهائي) (حماس) (حارة الثورة) (مخيم الثورة) (الثورة!؟!!) (نص العمر حلم والباقي ضياع) (ليذهب كل منا في طريقه أنا نحوك وأنت نحوي) (#خلصونا -اتصا) (شلولو للرفع) (دورة خط مجاناً مركز امتياز) (إن لم تكن مشتبكاً فلا داعي لثقافتك هنا باسل الأعرج) (عيناك كالقدس ألف عدو يتمنى احتلالها) (أحببتكي أكثر مما

أبو علي نواره الحارة) (القدس لنا) (هذي الأرض لنا!) (الوطن يحتاج إلى مخلص مش مخ لص) (ونحن لم نحلم بأكثر من حياة كالحياة) (سنكون شعباً لو أردنا) (علي يا كبير يا خالي#الهبش#الهيبة) (تغلي المعادن داويات في الثرى حتى تثور فيطفح البركان) (الحياة أبسط من هيك#فارطة) (والله لنكيف#عيسى الإرهابي والله لنكيف) (قاطع من يدعم إسرائيل) (لا شيء يبقى للأبد) (يعالم اصحوا والله..)#ادعيلي- شكرا توجيهي وهيكا.. (W) (ابتسم أنت في لوس أنجلس) (إلك الله يا غزة).

وبين كتابات الجدران وأصحاب المكان كانت في كل مرة تظهر حكايات تكمل المشهد وتُثري الجولات، وتفتح أبواباً أخرى للبحث وطرقاً جديدة للحوار.. حكايات شوارع.. «خليني أشوف الحج عشان أفتحلوكوا الباب وتتفرجوا عليها، تعالوا معايا».. ذهبنا معه واكتفينا بالصور، على أن نعود مرة أخرى لاستكشاف مقبرة العَلَمي.. «أنا صنعت مولد كهربى ويَجِب البحث، ضُمّوني معاكم» قالها أحد الشباب من مخيم الشاطئ.. «أنا معايا دكتوراه» - طفل

أحبت الأمة رسولها) (راح يجي يوم ونشيك أجهزتنا على نفس الراوتر) (عيونك مثل الحكومة لا عدل.. لا رحمة.. لا مساواة) (نحن في الدنيا في امتحان وفي أي وقت قد يتم سحب ورقتك) (السوسا مرت من هنا) (حبي كلب أحسن ما تحبي واحد من الشمال).. واستمرت جولاتنا الميدانية حيث كانت مدينة غزة وضواحيها محطتنا الثانية.. ومن ميدان فلسطين بدأنا فكانت قراءتنا الأولى لجدرانها وتوعدت القراءات: (بابا بحبك) (بدي شاورما!!) (أحلام باريسية والواقع صومالي) (اقتلهم بالنجاح وادفنهم بابتسامه) (كانوا وكنا وانقلعوا وكملنا #b...vip) (كن لنفسك كل شيء) (تبا للاحتلال) (ألسنتهم جوامع وقلوبهم ملاهي) (كم أشتهي أن أكون لك شرعاً وقانوناً) (كن من تكون اليوم تمشي وغداً مدفون) (اخص على هيك عيشة) (ولاية غزة الإسلامية موحدين الزيتون) (سنروي للعالم أجمع كيف تصنع الحرية وكيف بالدم يصنع النصر سرايا القدس) (الحوزة) (نحن التاريخ نحن المستقبل نحن الواقع) (الرجاء عدم إلقاء القمامة هنا) (ملعون ابن ملعون كل من يرمي القمامة هنا) (المختار



جانب من أحد اللقاءات مع أهالي بلدة قطننة ضمن مشروع الثقافة والفنون والمشاركة المجتمعية، برنامج البحث والتطوير التربوي، 2018.



تابعنا في شوارع المخيم.. «أنا عندي إمكانية توفير آلاف من الأصداف البحرية إذا بتحتاجوها، تعالوا معي عشان أفرجيكوا، هاي في صور لبعضها عالجمال، بس جوالي صغير يمكن ما تبين كوييس» - رجل من مخيم الشاطئ.. «شو بتعملوا.. ليش ما تبحتوا في الإعلانات واليافوظات على أبواب المحلات وفي الشوارع؟ ح تلاقوا فيها حاجات كثير، ربنا يوفقكم» - لقاء مع موظف متقاعد من الشاطئ.. طفل يجلس على الرصيف بالقرب من أحد الفنادق ويأكل بقايا طعام وجده في أحد الأكياس المتراكمة أمام الفندق..

رجل يقترب طالباً منا 2 شيكل كي يشتري شيئاً يأكله، فهو لم يذق طعاماً منذ الفجر.. واستمرت الجولات فكانت جولات فردية واجتهادات، وفي كل مرة تظهر الحكايات المكتوبة أو المقروءة في عيون وتصرفات من نقابهم.

الآن نحن في ميناء غزة.. وأطول جدار تواصل تجتمع فيه كل الملامح وجميع الأطياف وقوافل المنتظرين على أبواب الأمل.. كتابات في الميناء، وميناء غزة وحده حكاية.. والحكاية لم تنته بعد.

كتابات أخرى:

(متحكيش كثير بيكفي من انتا) (القدس لنا بحاول كل يوم بس مابياس) (#درايزين) (مختار الزيتون حرامي حُصن) (بحبك هالقد) (يكفي تبرج حجابك نجاتك) (مها زياد عالمة ذرة) (أغازلك غصب عنك ترضي أو ما ترضي) (#عيناك قصيدة وأنا أهوى القراءة) (إذا البلد صارت غابة مو ضروري تصير حيوان) (#خليل مرزوق ملك المينا) (حرر هواك فالحب بات معلناً) (لاتحزن، لعلك تريد نجمة واللّه يريد لك قمراً) (غزة بتحبك أرد.) (حضنك وطن ♥) (ابتسم، وأربك تعاسة العالم) (كوني لي وطن أكن لكي شهيد ♥) (شعشبون) (الباص يجمعنا) (أنتي حصتي) (حصتي أنا يا كلب) (صلي على الحبيب صلي الله عليه وسلم) (بلسم بنت عمي وحصتي) (رائد عريس3/#8) (قف على ناصية اللحم وقاتل) (عيناك ليالي صيفية) (توقفوا عن جعل الحمقى مشاهير) (جمالك كسهرة جيفارية على جبال فيتام) (دارين حتى أنا لا أحتاجني في غيابك) (ماذا تعرف عن الحب؟) (عينها وريال مدريد) (جاموستي ♥) (المدرسة البريطانية الاعتذار بدل الاحتفال) (تريزا ماي 100 عام من العذاب) (وعد بلفور المشؤوم) (#free Palestine) (أمي فداك الروح) (طلعونني من غزة) (سحر الزنخة) (ماما الله يشفيك) (ربي لا تعلقني إلا بك) (يا رب وفق سجود خضر في توجيهي بمعدل يفرح أمها ♥) (الفرحة بما لقبيتها) (علوش ♥ يا بلوة قلبي الحلوة) (توفيق الأهل هع) (سنسال العاقلة) (#توجيهي ♥2000) (محمد غدرت فيك) (لا إعاقة بل قدرات خارفة) (قلب أسود ♥) (اغضب - للقدس) (#صديقات إلى أن يشيب الرأس) (منار إنتي قلق) (عظيم شخص إلي بغير مزاجك بجمال كلامه) (#حق العودة# ولا شي زابط في غزة تقول إنو الكنعانيون بنوها بمال حرام..) (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) (إن لم تزيد شيئاً على الدنيا فأنت زائد عليها.. ♥) (بحبك يا زطمتي) (عيوونك فطوم أسكى من الدوالي) (بحبك يا أحمد#هبة-) (حبك برص) (أضحك إذا مش زابطة معك بتزيط بعدين f أمونة ناجي) (إحنا عنا أمل بس الأمل باعنا) (آل بكر وحوش البحر) (آل بكر في كل مكان) (أنا ابن بكر) (متحركين لأجل فلسطين).

مشروع مستقبل.. مستقبل إنسان ... مستقبل وطن ... ترامت أطرافه وتعددت فيه المسارات وتتوعدت فيه فرص التعلم، ولن يستطيع أحد أياً كان أن يضع له نهاية، لأنه البوتقة التي تنصهر فيها كل العلوم، وكلها تحتاج إلى كتابات لتحفظ الإرث وتكمل المسيرة.

انتهت الجولة ولم تنته الحكاية.. متحركون من أجل فلسطين ... نحن وأنتم متحركون من أجل هذا اللحم.. حلم التغيير... حلم صناعة الأمل.. حلم أجيال غادرت وأجيال ستأتي ... أجيال تصنع لها مكاناً تحت الشمس ... لم يكن مشروع كتابات مجرد مشروع تعلم ... بل

مدرسة ذكور النصيرات الإعدادية «ب»